الوثّاب

بقلم حضرة النطاسيّ البارع الدكتور حبيب افندي همام

الوثّاب لفظٌ مولد يراد بهِ حالٌ مرضيَّة معروفة عند اكثر الشرقيين . وهو مع كثرة انتشاره في الاقطار السوريَّة قل من بحث فيهِ بحثاً علمياً وندر من افرد لهُ كلاماً خاصاً في الكتب الطبيَّة لاعتقاد انهُ عرضٌ معَدي محض مسبب عن عسر الهضم فقط . بيد انهُ وان كان عسر الهضم سبباً مُهِمًّا من أسبابه وقد يكون عرضاً من اعراضهِ فقد يحدث والمعدة على احسن حال من الانتظام بل قد تكون خاوية خالية واعراضها لاحقة لا سابقة

ولما كنت ممن ينتابهم هذا العرض لاقل الاسباب تحرّيت البحث فيهِ فكاشفت بامرهِ من اجتمعت بهِ من نطس الاطبآء وكبار العلمآء وطالعت ما وصلت اليهِ يدي من الكتب الطبيَّة والمجلات العلميَّة حتى عثرت على شيءٍ من حقيقة حالهِ فاضفتهُ الى ما اختبرتهُ بنفسي وتحققتهُ بحسّي ورأيت ان اعرضهُ على جمهور القرآء آملاً ان يكون منهُ بعض الفائدة . وقد سقت الكلام فيهِ مساقاً اجمالياً بسيطاً متحاشياً ذكر الاصطلاحات الطبية ما امكن مراعياً فيهِ الذوق العام تاركاً البحث الطبي البحت لكبار الاطبآء راجياً ان يتحفونا بما فيهِ لنا الفائدة ولهم الفضل

وقبل الكلام في هذا الموضوع لا بد لي ان اعترف بعجزي عن تحديدهِ فقد حاولت ذلك مراراً فاعترضني من العقبات والمثبطات ما لم يتأتَّ لي معهُ القول الفصل وغاية ما وصلت اليهِ ويمكنني ان اقول فيهِ انهُ عرض لعدة

اسباب مرضية تفعل على الجهاز العصبي فعلا سيئًا فتحدث صداعاً وآلاماً عضليّة واعراضاً مختلفة قد تشتدُّ الى حد ان تقضي على الانسان بملازمة الفراش اياماً ولا يخفى ما في هذا التحديد من النقص غير ان ما لا يُدرك كلُّهُ لا يُترَك جُلُّهُ

اما اسبابهُ فمنها مهيئّة ومنها مهيّجة فمن المهيئّة الوراثة والمزاج والجنس والعمر والمهنة فان الاستعداد لهُ قد ينتقل من الآباء الى الابناء وهو في اصحاب المزاج العصبي اكثر مما في غيرهم وفي النساء اكثر مما في الرجال وفي طور الشبيبة اكثر مما في سواهُ وفي اصحاب الاشغال العقلية اكثر مما في غيرهم

ومن الاسباب المهيجة عسر الهضم وقبض الامعاء وانحراف وظيفة الكبد والتسمم بالحامض اليوديك واستنشاق الهواء الفاسد والسهر الطويل والافراط في الشهوات والحزن والهم والغم والحر والبرد والجوع وغير ذلك مما يؤثّر على الجهاز العصبيّ ويمكن ارجاع جميع هذه الاسباب الى ما يفعل على الجهاز العصبي رأساً وما يفعل عليهِ عن طريق الجهاز الدمويّ ولا بأس من اشباع الكلام على كلٍّ من هذه الاسباب بمفردهِ وبيان علاقتهِ بهذا الداء اذا صح ان يُسمَّى داءً

فعسر الهضم يحدث منهُ اختمار عفني وتكوّن موادّ سامّة تمتصها المواصّ والاوعية اللمفاوية فتتصل الى الدم وتسير بهِ الى اطراف الجسم فتؤثر في الجهاز العصبي وتحدث الاعراض التي سيأتي بيانها

وقبض الامعاء ينحبس بسببه في القناة الهضمية مواد عفنية وفضلات سامة تدخل الدم وتفعل على الجهاز العصبي فعلا مرضيًّا

وانحراف وظيفة الكبد من اقوى الاسباب على احداث هذه الاعراض لانهُ من اهم وظائفها تحويل المواد السامة التي تصل اليها من القناة الهضمية عن طريق الوريد البابيّ الى مواد أُخر غير سامة بل نافعة فاذا انحرفت وظيفة الكبد مرت بها هذه المواد دون ان تتغير وسارت في الجهاز الدموي سامة كما هي فتفعل على الجهاز العصبي وتحدث الاعراض التي نحن بصددها

والتسمم بالحامض اليوديك لا ينقص اهمية عما تقدم من الاسباب فقد عدهُ بعضهم سبباً وحيداً لهذه الاعراض . وهو يحدث من كل ما من شأنهِ ان يعوق تأكسد هذا الحامض كالتأنق في المآكل والمشرب والمبالغة في الترف والتنعم واهمال الرياضة البدنية ولذلك يكثر حدوث هذه الاعراض في ذوي اليسار وفي ايام العطلة والانقطاع عن الاشغال البدنية

اما الهوآء الفاسد فيفعل اما بما فيهِ من الغازات السامة التي تدخل الدم عن طريق الرئتين ومن هناك تفضي الى الجهاز العصبي واما بعدم وجود المقدار الكافي فيهِ من الاكسيجين وفي كلا الحالين يحصل التسمم وعليهِ تكثر هذه العوارض في الاماكن القذرة والمحلات المزدحمة بالسكان

والسهر الطويل والافراط في الشهوات والحزن والهم والغم وجميع الانفعالات النفسانية تفعل على الجهاز العصبي رأساً فتهيّجهُ وتضعفهُ وقد تفعل عليهِ عن طريق الجهاز الهضمي ايضاً فتستوقف فعل الهضم وهذا يحدث صداعاً والصداع يُحدثهُ فبالفعل والانفعال يزداد الالم وتشتد الاعراض فيروح الانسان صريعاً بين تيّارات المجاري العصبية والاضطرابات المعديّة . كل ذلك والجهاز الهضمي لاهٍ عن اتمام وظيفتهِ بالاشتراك بهذه

الطوارئ الغريبة ويظل كذلك الى ان تنتهي وترجع الاعضآء الهضمية الى اعمالها فتهجع الاعراض وتعود الاشيآء الى مجاريها كأن لم يكن شيء مما كان

والبرد والحرّ يستوقفان فعل الهضم لان المعدة تتم عملها عند درجة معلومة من الحرارة فان زادت او نقصت توقف فعل الهضم وحصل ما سبق بيانهُ في الكلام عن عسر الهضم . وقد يفعلان على الجهاز العصبي رأساً فان البرد ينبههُ والحرّ يضعفهُ فان كان الاول حصل انقباض في الاوعية الدموية بسبب تهيّج الاعصاب المحيطة بها ونتج من ذلك جفاف في الجلد واصفرار في اللون وبرد في الاطراف . وان كان الثاني حصل انتفاخ في الاوعية الدموية بسبب شلل هذه الاعصاب فتبرز الاوردة بروزاً ظاهراً وتنبض الشرايين نبضاناً بيّناً ويحتقن الجلد. ويحمرّ الوجه وتظهر الحرارة في الاقسام المصابة ظهوراً يُشعر بهِ عند اللمس

واما الجوع فليس سوى نفاد المواد المغذية من الجسم بحيث يحدث امتصاص مواد عفنية ورطوبات سامة غير صالحة للغذآء وربما كان فعلهُ على الجهاز العصبيّ مباشرةً من قبيل عدم التغذية وفقر الدم

وقد تجتمع بعض هذه الاسباب فتعمل معاً ما لا يعملهُ كلٌّ منها على حدةٍ . وهنالك اسباب أُخر يفعل بعضها فعلاً منعكساً عن بعض الاعضآء يؤثر على المراكز العصبية وبعضها يندرج في عداد الاسباب التي مرّ بيانها وقد تحدث هذه الاعراض لغير سبب او لسبب خفي لا يُهتدى اليهِ . وبقي هنا ان اقول ان من الاطبآء من يعد هذه الاعراض من انواع الحدار ومنهم من يعدها من انواع الصرع والله اعلم

(ستأتي البقية)